

المعارف والمهارات التقليدية المرتبطة بتعبئة الموارد المائية بالبلاد التونسية تراث ثقافي جدير بالصون والتثمين

Traditional knowledge and skills related to the mobilization of water resources in Tunisia A cultural heritage worthy of preservation and appreciation

د. صالح فالحي*

المعهد الوطني للتراث، تونس

felhisalih@yahoo.fr

ملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)	معلومات المقال
تعد المعارف و المهارات المتعلقة بتدبير المياه السطحية بالبلاد التونسية موروثا ثقافيا حيا لا بد من المحافظة عليه وادراجه في السياسات والتشريعات والخطط والبرامج التي ينبغي أن تضطلع بها الهياكل المختصة والمؤسسات العلمية والثقافية في مجال التراث والتنمية المستدامة والمحافظة على الموارد المائية والبيئة، مما يتطلب العمل المشترك والتنسيق بين مختلف الأطراف المحلية والجهوية والوطنية في الاستفادة من هذا الموروث وتطوير الممارسات العلمية والعملية في هذا المجال محافظة وتتمينا، ذلك أن المحافظة على التراث المائي وتثمينه مسؤولية الجميع، فهو ملك المجموعة الوطنية وليس لأي فرد أو فئة أو مؤسسة أو جهة فيتوجب على كل الأفراد والمجموعات والجماعات المحلية وكل الهياكل الاعتناء والاهتمام بالموروث الثقافي المائي والتنمية المستدامة في البلاد التونسية.	تاريخ الإرسال: 2023/06/07 تاريخ القبول: 2024/01/19
	الكلمات المفتاحية: ✓ المحافظة والتثمين ✓ المعارف والمهارات ✓ المنشآت المائية التقليدية ✓ التنمية المستدامة ✓ الترشيد والتحكم :
Abstract : (not more than 10 Lines)	Article info
The knowledge and skills related to the management of surface waters in Tunisia are a living cultural heritage that must be preserved and included in the policies, legislation, plans and programs that should be undertaken by the competent structures and scientific and cultural institutions in the field of heritage, sustainable development and the preservation of water resources and the environment, which requires joint action and coordination. between the various local, regional and national parties to benefit from this heritage and develop scientific and practical practices in this field to preserve and value it, because preserving and valuing the water heritage is the responsibility of everyone, as it is the property of the national group and not to any individual, group, institution or entity....	Preservation and Valuation Knowledge and skills Traditional water facilities Sustainable development Rationalization and control

1. مقدمة:

والتوعية بقيمتها التاريخية والعملية باعتباره عنصرا حياتيا ومقدّسا ورابطا بين العديد من المجالات من أهمها توفير الغذاء وداعم رئيسي للفلاحة؟

وللمساهمة في رفع درجة التوعية والتحسيس بأهمية المحافظة وحسن التعامل مع الموارد المائية السطحية السائلة وصون وتأمين هذه المعارف التقليدية التي تعد تراث ثقافي غير مادي كما نصت عليه اتفاقية التراث الثقافي غير المادي لليونسكو 2003² سنرصد بعض المعارف والمهارات في علاقة بتعامل السلف مع الماء سواء عند الحاجة او بالتخزين، مع العلم أنّ النقاش الدائر حول الماء ليس

ارتبط عنصرا لمحافظة علماء بالمجتمعات التقليدية بالعديد من الممارسات والمهارات التقليدية الناجمة في التعبئة الكاملة للموارد المائية السطحية السائلة حسب أنواع التضاريس الطبيعة والأماكن الريفية والحضرية نظرا لما يكتسبه الماء من مكانة في حياة الانسان ولما له من ابعاد اجتماعية وثقافية، كالاتفاقية بقدمية بعض المياه والعيون والبحار والأنهار والمجاري المائية، مما خلق حالة وقصص وحكايات حول المياه ومصادرها ومالاتها، ولابدّ من الوقوف منهجيا عند ذاكرة الماء خاصة في الجانب الأنثروبولوجي والتاريخي على اعتبار أنّ العديد من الاكتشافات التاريخية والاهتمامات الأنثروبولوجية وغيرها من التخصصات، كدراسة الاستقرار البشري والترحال والاقامة تؤكد كلها أنّ الإنسان لا يستقر في مكان ما، إلّا إذا توفّر فيه شرط وجود الماء، باعتباره عنصر حياة للإنسان¹. مما دفعه الى ابتكار العديد من التقنيات والمنشآت لتعبئة الموارد المائية السائلة لحسن استغلالها عند الحاجة؟ وماهي اهم الممارسات والمنشآت التقليدية التي ابتكرها الإباء والاجداد للمحافظة على الماء، وما جدواها وهل تم الاستئناس بها وتطويرها وتأمينها

2 تعريف التراث الثقافي غير المادي كما ورد في نصوص اتفاقية اليونسكو 2003، و يقصد به "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات . وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية . التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد جزءا من تراثها الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيل عن جيل، تبذعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية".

أهم المجالات التي يتمظهر فيها التراث الثقافي اللامادي.

- ❖ التقاليد وأشكال التعبير الشفاهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي.
- ❖ فنون وتقاليد أداء العروض
- ❖ الممارسات الاجتماعية والطقوس الاحتفالية.
- ❖ المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.
- ❖ المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

¹تغطي المياه حوالي 71% من الأرض، وتكون حوالي 65% من جسم الإنسان، 70% من الخضراوات، وحوالي 90% من الفواكه، لهذا فهي تعتبر مصدر الحياة لجميع الكائنات الحية من إنسان ونبات وحيوان وأيضا من أهم المصادر الطبيعية على الإطلاق وأكثرها قيمة. يعتمد الإنسان على المياه في كافة جوانب حياته العملية من زراعة وصناعة وغيرها من النشاطات المختلفة.

النظيفة السائلة يستخدمه المسلمون للوضوء قبل الصلاة خمس مرات في اليوم

لقد أثبتت العديد من الدراسات العلمية مدى فعالية الوازع الديني في تغيير السلوك الإنساني نحو حماية المحيط بكل مكوناته بما فيها من عناصر أساسية في حياة الإنسان وتعد المحافظة على المياه من أهمها، وقد أكدت هذه الدراسات على الدور الهام الذي يقوم به رجال الدين وأئمة المساجد والواعظ في توعية وتحسيس جمهور المسلمين على ما من شأنه تعمير الأرض وصون مواردها وحماية مواردها المائية من الدنس والإسراف والهدر. قال تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون". (الأنبياء، 30)، ومن الآيات والأحاديث الأخرى التي ترشدنا وتوجهنا إلى كيفية استخدام الماء والمحافظة عليه من التلوث وصونه من التبذير والاسراف، قوله عز وجل (كلوا وشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين)

إن هدر الموارد الطبيعية وسوء الإدارة الراشدة والواعية للموارد المائية يعود بالأذى على الإنسان نفسه وعلى غيره من بني جنسه وعلى كل الكائنات الحية فهو ظلم للنفس وللغير وبالتالي فإن حماية وحسن التصرف في هذه الموارد المائية هو جزء أساسي من المصلحة الذاتية ومصلحة المجتمعات ككل وكذلك ضمانا لحق الأجيال القادمة في هذا العنصر الأساسي للحياة المتوازنة، إضافة الى أهمية الماء في الطهارة للتنظيف والنظافة والوضوء وغسل الذنوب عند البشر. والله سبحانه تعالى قد خلق الإنسان من ماء و تراب

- الماء كصدقة جارية:

هي كل عمل يبقى نافعا للبشرية حتى بعد موت صاحبه، بمعنى آخر من ترك عملا نافعا للبشرية يبقى مأجورا

جديدا، بل تناولته العديد من التخصصات والعلمية والبحثية، إلا أن ما سيميز هذه المساهمة هو المعادلة التالية المعارف والممارسات المرتبطة بالماء وسبل تميمها، وكذا قراءة في المعطيات الميدانية التي مازالت تمارس وهل وقع تطويرها بما يسمح لنا بإبراز جدواها وأهميتها رغم تراجعها.

2. أهمية الماء في حياة الانسان من منظور الثقافة الشعبية

1.2 الماء في الديانات والنصوص المقدسة: يعد الماء كعنصر أساسي في الطبيعة وفي حياة الإنسان وقد شكّل أهمية كبيرة لا يمكن الاستغناء عنه في حياة الكائنات الحية جميعا فإلى جانب هذه الأهمية والمكانة الكبيرة التي احتلها من الجانب العلمي في الدراسات والابحاث، حضي أيضا بأهمية كبيرة كل النصوص الدينية والروحية تقريبا لأديان ومعتقدات الإنسان قديما وحديثا لا تقل عن الأهمية العلمية والثقافية له. وهذا يظهر جليا واضحا عندما نتبع النصوص الدينية فقط، بغض النظر عن الممارسات الفعلية والطقوس المصاحبة لهذا العنصر (الماء). فلا تكاد تخلو عقيدة دينية إلا وكانت تقدر هذا الماء وتدعو للمحافظة عليه وحسن التصرف فيه، بكل الطرائق سواء كانت فكرا أو طقسا. او ممارسة وهذا يعود لما للماء حسن ترشيد استعماله من أهمية كونية، وماله من ارتباط وثيق بحياة الإنسان سواء كان فرادا او مجتمعا.

- الماء في الدين الإسلامي

فالماء ينظر اليه بالمنظار المقدس في جميع الأديان قاطبة القديمة منها والحديثة (أحمد، مارس 1999). فهو في مرتبة عالية في الممارسات والفكر الديني الإسلامي (وخلقنا من الماء كل شيء حي) القرآن الكريم، أي انه أساس لكل شيء حي، وهذا تقديس كبير للماء. ولا يخلو أي مسجد من مصدر للمياه

عليه حتى بعد وفاته .عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ تَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ) رواه ابن ماجه (رقم/242) قال المنذري في " الترغيب والترهيب " (78/1) : إسناده حسن . وحسنه الألباني في " صحيح ابن ماجه "

- الماء في الديانة المسيحية

وفي الديانة المسيحية نجد للماء مكانة هامة بالنسبة للإنسان منذ لحظة الولادة فهو عنصر مهم في مراسيم التعميد إقامتها ولا يستعاض عنه بشيء. كما أن السيد المسيح (ع) تعمد بالماء الجاري (نهر الأردن) على يد النبي يحيى يوحنا (ع) فكان لهذا التعميد أثره الخاص والمهم بلاهوت المسيح والكنيسة من بعده. فيدخل الماء في عملية التعميد الكنسي وصلوات القربان المقدس عند المسيحيين كرمز للتطهير من الذنوب. وكان يوحنا المعمدان وقومه يعيشون قرب المياه كي يعمدوا أطفالهم به والمنتسبين للديانة المسيحية الجدد، وهناك طوائف أخرى كثيرة تربط حياتها الاجتماعية والدينية بالمياه وتعيش على ضفاف الأنهر. فالتعميد اذن هو شكل من اشكال الاغتسال في الماء من اجل التطهر، والذي يتميز بالغطس في المياه الجارية او حوض التعميد، وتلاوة التراتيل الدينية، التي تدعو الى التقرب للذات العليا، واستلام منحة الحياة والتقديس من خلال عنصر الماء الذي يمثله بكونه عنصرا للتطهير والطهارة اولا، وبكونه المادة الحية الأولى التي خلق منها كل شيء حي ثانيا

- الماء في الديانة اليهودية

يحظى الماء في الديانة اليهودية بتقديس كبير، من منطلق أنه أصل الوجود وأساس الطهارة، وهذا يتضح بجلاء في قصة الخلق التوراتية التي تقول (سفر التكوين): "في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه (...)" ، وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين المياه والمياه . وبالموازاة مع ذلك، فالماء هو رمز الحياة والخلاص لبني إسرائيل: من قبيل: "وكلم الرب موسى قائلا: "خذ العصا واجمع الجماعة، أنت وهارون أخوك وكلما الصخرة، أمام أعينهم أن تعطي ماءها."

وعلاوة على ذلك، فقد ارتبط الماء في الديانة اليهودية وباقي الديانات الأخرى بالطهارة، وغسل الخطايا، وهذا ما عبرت عنه قصة نوح عليه السلام في سفر التكوين: "أن الله أرسل المطر أربعين يوما وليلة ليغسل الأرض من خطايا البشر، ما يعني أن الشريعة اليهودية قد استخدمت الماء في طقوس التنظيف، حتى يبقى اليهودي دائم الارتباط بالله القدوس، وبالتالي يكون منفصلا بشكل كامل عن النجاسة؛ فالنجاسة في اعتقادهم هي السبب في الانفصال عن الله.

وهناك تقليد شائع في عيد رأس السنة العبرية هو التوجه في مساء أول أيام العيد إلى مصدر مياه مثل البحر أو أحد الأنهار أو الينابيع، حيث يتم تلاوة بعض الآيات وإلقاء قطع من الخبز في الماء، رمزا لـ "إلقاء" جميع ما ارتكبه الإنسان من خطايا خلال العام المنصرم. ويعود هذا التقليد إلى الآية 19 من الإصحاح السابع لسفر ميخا التي تقول: "...وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم."

2.2 الماء كدواء في الثقافة الشعبية التونسية

- "الماء الماشي للسدر الزيتونة أولى به" بمعنى

الزيتونة أحق بالماء المتجه للسدر، وهي دعوة إلى توجيه الماء للاستفاد به في ري الأشجار بما معني العمل على التهيئة والتوجيه السليم والصحيح للمياه السائلة

- "مطر مارس ذهب خالص" وهذا المثل بين ويؤكد على

أهمية امطار مارس ودورها الحيوي في حياة ونمو الغراسات والزراعات.

- "المتحولة مذبالة ولو كان تكون عروقها في الماء" يورد

الماء في هذا المثل بانه ليس الوحيد في حياة النبتة المحولة إلى مكان آخر، لكنه يستعمل في العديد من الحالات بالرمزية المشحونة فيه، كما يمكن ان يطلق على الانسان الذي انتقل من مكانه الأصلي الى مكان جديد ومازال لم يتلاءم ويندمج فيه.

- "زيد الماء زيد الدقيق" ويطلق هذا المثل على عدم

التحكم في كمية الماء اللازمة للحصول عجين صالح لصناعة غذاء، كذلك هذا المثل يحيل الى ان لكل كائن حي سواء نبات او انسان كمية محددة للماء لا بد من مراعاتها والمحافظة على ووجودها.

- "الماء غسال الموتى" بمعنى ان الماء اخر ما يتطهر به

الانسان لملاقاة ربه، ولا يمكن احتكاره او عدم التصديق به لمن طلبه.

- "بيني بينك ماء وملح"، لا يمكن ان يجهز طعام الا بحضور

الماء وبمجرد المشاركة في المائدة الغذائية يصبح استراك في المحبة والمودة وعدم الخيانة وكأن الماء شاهد ورابط للثقة والعهد والوفاء.

أن للماء دور في علاج بعض العلل لدى الأطفال

والإنسان بصفة عامة عبر بعض الطقوس، وأصبحنا اليوم نتحدث عن التداوي بالمياه وخاصة الحارة منها والتي نسبت إلى بعض الأولياء كحمام سيدي عبد القادر بالحامة من ولاية قابس وحمام سيدي بوريقة بمدينة حمام الأنف من ولاية بن عروس بإقليم تونس الكبرى إضافة إلى وجود حمام ذات طابع عصري مجهزة بأدوات وإطار طبي وشبه طبي تقدم خدمات في علاقة كبيرة بالماء للتداوي من امراض البرد والروماتيزم وبعض أمراض الحساسية.

3. الماء في الأمثال الشعبية التونسية: إذ كانت الأمثال

الشعبية، حكما شفوية متواترة ومنقولة مجهولة القائل واسعة الانتشار بين العامة والخاصة ويعود سر ذيوعها وإشعاعها إلى جملة من الخصائص التي امتازت بها كالأصالة والانتماء، فالكثير من الأمثال والحكم المعروفة بالبلاد التونسية هي قديمة الجذور مع إنها ليست بلفظها الفصيح وكذلك تنوع نطقها حسب اللهجات مع ما طرأ عليها من تحريف وتعديل في المعاني والألفاظ، ففي تواتر هذا التراث المقول على ألسنة الناس فإننا ندرك من خلالها روح هذا المجتمع وما يعتمل فيه من نوازع ونستكشف آراءه في مختلف شؤون الحياة ونظرتة إلى الكون، كما تعكس أمثاله الشعبية بدرجة كبيرة عن صدق مشاعره وأحاسيسه وأماله وآلامه وأفراحه وأحزانه وتفكيره وفلسفته وحكمته، ولما كانت هذه هي حالة الأمثال الشعبية فإننا نجد الكثير منها تتحدث عما توصلوا إليه وعرفوه من مرتبة التحكم وإن هذا التراث الحي هو مرآة عاكسة لثقافة وحضارة كل مجتمع، و في هذا الاطار وصلت الينا العديد من الأمثلة الشعبية التي تؤكد على أهمية الماء و حسن تدبيره والمحافظة عليه و نذكر منها

- " تعدى على واد هرهار وما تتعداش على واد ساكت" وفي هذا المثل بين أن الماء من أخطر ما يمكن ان يسبب الاضرار ولو ترى انسيابه بهدوء، فالماء الذي يحدث ضجيجا يمكن ان تتجاوزه بأقل الاخطار من الماء الساكن.

1.3 أهم المعارف والممارسات التقليدية للمحافظة على

المياه وحسن استغلالها

اقتضت الأهمية الكبرى التي تكتسبها المياه بالنسبة إلى حياة الإنسان والنبات والحيوان، الى وجود معارف وممارسات توارثتها الأجيال جيلا بعد جيلا وحافظت عليها وطورتها أنه شكّل موضوع على غاية من الأهمية نظرا لارتباطه بالغذاء والبقاء (عبدالله، 1995). ويكون الأمر طبيعيا أكثر في المجتمعات التي يغلب على مناخها الجفاف في كثير من الأحيان، حيث تصبح المياه غير كافية أو نادرة على اعتبار أنّ هذه المناطق هي مدارات ندرة المياه بامتياز، مما دفع ساكنة هذه المناطق تستنبط العديد من التقنيات للتحكم في المياه وتخزينها لاستعمالها عند الحاجة إضافة الى التغيرات المناخية التي يشهدها العالم اليوم، أو على اعتبار الماء من الموارد الحيوية التي لا يمكن الاستغناء عنها، إذ ترتبط بالعديد من الأنشطة التي يمارسها الإنسان بهذه المناطق، سواء في استقراره أو ترحاله. فإلى جانب نقاط الماء هناك مجموعات بشرية تشكّلت بفضل إغراءات ذات الموارد المائية، وامتدت في غالب الأحيان قرب العيون أي منابع المياه

تعبئة الموارد المائية السطحية بالطرق التقليدية بالبلاد التونسية

الماء الصالح للشرب

الماجل او الماجن: ينتشر تقريبا في المناطق الريفية والحضرية وهي طريقة تقليدية لتعبئة الموارد المائية السطحية المتأنية من التساقطات المطرية ومياه السيلا...

مكونات الماجل وخصائصه (علي، 1998):

تتمثل في تقنية "الماجل" او "الماجن"...وهي التسمية الشعبية المتداولة في هذه الربوع...وهو عبارة على حفورة في الأرض... على شكل "أجاصة"... تحفر بشكل متدحرج...قطرها في الجزء العلوي حوالي ثلاث أمتار وفي جزئها السفلي سبعة أمتار...عمقها حوالي أربعة عشر مترا...تتكون من "محبس" او "ركّاحة" سعته 1متر مكعب...ملاصق للجهة القبليّة من الماجن...يلعب دور حبس الماء وتصفيته... ليمر لاحقا الى الحفورة...مسند بحمالتين من التراب... واحدة على اليمين والأخرى على الشمال...الحمالتان عبارة على ساترين ترايين... ارتفاع كل منهما حوالي عشرين سنتمترا...وطولهما حوالي ثلاثين مترا لكل منهما...يلعبان دور حصر الماء الذي يأتي من المنحدر او المصب...ثم جلبه إلى المحبس...الذي يستقبل الماء ليمرره إلى داخل الحفورة...عبر قناة مكعبة الشكل... طولها يفوق المتر...و قطرها حوالي ثلاثين سنتمترا...في الجهة الظهرية من الماجل و قبالة القناة التي تمرر الماء إلى داخل الحفورة...توجد فتحة أخرى مثل قناة تمرير الماء في شكلها و طولها...يخرج منها الماء بعد أن تمتلأ الحفورة...تسمى "الخزّاجة"...كل هذه العناصر تربطهما سفرة مدورة الشكل...قطرها حوالي الثلاثة أمتار...في وسطها يوجد باب صغير يشرف على الحفورة مربع الشكل... طول ضلعه حوالي نصف المتر...من خلاله يقع ملأ القلال بالماء...باستعمال سطل وحبل...وفي أحد اطراف السفرة يوجد حوض صغير...يسكب فيه الماء... لتشرب منه الطيور وغيرها من الحيوانات العابرة من المكان...كان الماجن إلى حدود أواخر

شبكة الشركة التونسية لاستغلال وتوزيع المياه التي تأتي بها عبر الصهاريج الصغيرة المحرورة بواسطة الدواب أو الصهاريج الكبيرة التي تجر بواسطة الجرار لترتبط لاحقا اغلب الأرياف بالشبكة العمومية للمياه وصارت الحنفيات داخل المنازل ... و يبقى الماحل تقنية تقليدية قديمة هامة في تعبئة مياه الأمطار (علي ح.، 1989)... لعب دورا محوريا في تلبية حاجيات ساكنة الأرياف بمناطق الوسط و الجنوب الشرقي و العديد من المناطق الأخرى من الماء... بداية من الأربعينات والخمسينات اساسا... و هي الفترة المرتبطة بالاستقرار السكاني المجالي... إلى حدود الثمانينات و بداية التسعينات... ليقع التخلي عنه لاحقا... و تعويضه بتقنيات جديدة... و تصبح استعمالاته مقتصرة على جهات معينة و بصفة محدودة... ليبقى مجرد سرح شاهد على تاريخ مظهر من مظاهر تعبئة الموارد المائية السطحية في المجال الريفي... ساد لفترة تاريخية معينة...

الاستعمالات التقليدية للمياه بالمنزل

في البيت التقليدي التونسي تكون المرأة ربة البيت تقريبا هي المسؤولة الأولى على التصرف الرشيد في الموارد المائية، وهنا نتحدث عن المنازل التي سبقت تجهيزها بالحنفيات من طرف الشركة الوطنية للاستغلال وتوزيع المياه، فعلى مستوى التزود بالماء يكون الماحل أو الفستقية الموجودة بالمنزل و التي تتحصل على الماء من سطوح المنازل في المناطق الحضرية وحتى بعض المنازل الريفية الا اننا نجد في الريف التقليدي التونسي وجود الماحل أو الفستقية في مكان قريب للمنزل ويكون اختيار المكان يحدده بعض المعطيات كان يكون في مجرى مياه لكي يسهل تعبئته عند هطول الأمطار وسيلان المياه ويكون على اطراف الطريق حتي يتغذى بالمياه الجارية في الطريق ولكي يكون مصدر لصدقة جارية لصاحبه لعابري الطريق هذا علة المستوى الخارجي كما يتم زرع بعض الخضروات والفواكه والأشجار

السبعينات يعتمد كنقطة ماء اساسية... يعتمد عليها ساكنة الأرياف في حياتهم اليومية... من طبخ و شرب و سقي... وتقاس كمية الماء في الماحل بالذراع... وغالبا ما يكون الماحل استعمالا مشتركا بين العديد من العائلات... رغم أن عملية إنشائه تكون عادة على يد شخص واحد من ميسوري الحال ويكون مأؤه ملكا مشاعا تقريبا للجميع بعد اختيار الموقع الذي يراعى فيه سهولة الوصول اليه وكذلك يكرن في مجرى للمياه السائلة حتى يساعده موقعه على تحصيل الماء وتصريف ما زاد على حاجته، كما يكون في اغلب الأحيان على اطراف الطرقات لما يمكن ان يقدمه للمارة كماء للعابرين او ما يعرف بماء السبيل والمعرف عن الماء المصدق به هو بمثابة صدقة جارية لصاحبه، ويعرف كل ماجن باسم صاحبه او المجموعة السكانية التي تشترك في استغلاله... ويعتمد الماحل في قياس كميات الأمطار التي تنزل بهذه المناطق... فيقول أن الماحل "حاز ذراع ماء أو ذراعين أو ثلاثة"... وهي عبارة على تواضع كمية المطر التي نزلت... او يقال ان "الماجن عدّى" او "الماجن مَرَّق"... اي انه امتلأ و فاض الماء من الخزانة... وهذا مؤشر على ان الكميات من الأمطار التي نزلت تعد كميات هامة... مع السنوات الاولى لفترة الثمانينات ظهرت تقنية جديدة في تعبئة مياه الامطار وهي الفسقيات

الفسقيات:

تعد الفسقيات من اقدم المنشآت المائية بالبلاد التونسية (Mahfoud, 1999) وهي تقريبا نفس تقنية بناء الماحل لكن الاختلاف من حيث الشكل يكون مستطيلا وتنتشر بصفة أكثر في المجال الحضري حيث تشيد اساسا ملاصقة للمنازل لتعبئة مياه الأمطار من أسطح المنازل عبر الميزاب، تراجع وتقلص هذه المنشأة التقليدية لتعبئة المياه في أواخر الثمانينات وفترة التسعينات وأوائل الألفيات في تعبئتها بمياه

سواء من حيث التسميات او مواد الانشاء وتحدد الطبيعة الجغرافية للمنطقة حيث ان منشآت المناطق الجبلية والسفوح تختلف عن المناطق السهلية وكذلك المناطق الرطبة والمعتدلة تختلف عن المناطق الصحراوية، والمحدد الرئيسي لنوعيتها وخصائصها ومواد وتقنيات بنائها هو الطبيعة المناخية للبلاد التونسية المتميزة بالجفاف وشبه الجفاف والمرتبطة بالموقع الجغرافي للبلاد مما يجعل مواردها المائية متغيرة حسب الفصول وحسب المناطق، حيث أن معدل كمية الأمطار في السنة لا يفوت 100 مم في أقصى الجنوب ويصل إلى 1500 مم في أقصى الشمال الغربي

تعتمد المنشآت المائية التقليدية على تقنيات خزن المياه لاستعمالها في فصل الجفاف. وتمثل هذه المنشآت عنصر رئيسي من عناصر التراث المائي في الأرياف التونسية. إذ تتكون أساسا من سدود صغيرة أقيمت في أسفل المنحدرات الهدف منها حجز كمية من مياه السيول. هذه التقنية تتماشى مع خصوصيات الوسط الطبيعي وهي تشبه البحيرات الجبلية في وقتنا الحاضر. ومن أهمها نذكر:

- المدرجات

ومن أهم هذه المنشآت المائية التقليدية التي انتشرت في الأرياف التونسية (latifa, 1993) نجد « المدرجات » والهدف الأساسي من انشاءها الحد من درجة السيول وتنتشر على سفوح الجبال والهضاب وتتكون تقنياتها جدران من الحجارة والتراب وتأخذ شكل مخروطي مع وجود فتحات على الأطراف حتى يتسنى للماء المرور الى المدرج الثاني، وتستعمل

المثمرة قرب المايل او الفستقية وبشكل محدود لتوفر بعض احتياجات العائلة كما يوجد حوض صغير يكون دائما ممتلأ بالماء ليكون ملجأ خاصة للطيور في فترات الحر والصيف.

في داخل البيت التقليدي توفر المرأة الريفة حاجياتها من الماء في اغلب الأحيان في أواني فخارية كالقلة والخاوية وسطل الحديد وتوضع في أماكن آمنة بالبيت و في متناول الجميع، وتعمل جميع افراد العائلة التقليدية على حسن التصرف و ترشيد كميات المياه دون اسراف و تبذير فحتى المياه المستعملة في غسيل الاواني تقدم الحيوانات الالهية، او تسقى بها بعض الغراسات القريبة من المنزل، و تفرق المرأة الريفة بين ما يعرف ليهم بالماء الحلو او ماء الشرب وهو المتأني أساسا من مياه الامطار والماء الحي او ماء البئر والذي يستعمل للغسيل وللحيوانات الالهية وغسيل الملابس تنظيف البيت و الوضوء والطهارة بكل أنواعها

وترتبط باستعمالات الماء في العائلات التقليدية التونسية العديد من الطقوس كسكب الماء وراء المسافر لكي يعود سالما، وضع أرجل ام الطفل المطهر يوم ختانه في الماء، طقوس حمام العروس الى غير ذلك من العادات والتقاليد التي تشهد اليوم تقلصا وتراجعا كبيرا لفائدة ممارسات جديدة

الاستعمالات التقليدية للمياه في المجال الريفي التونسي

عمل الفلاح التقليدي التونسي على حسن واحكام تعامله مع المياه السطحية السائلة و المتأنية أساس من مياه التساقطات والامطار، فشييد العديد من المنشآت المائية التي مازالت شاهدة الى اليوم على عبقرية الخلاقة لحسن ارشاد وتوظيف الكميات المائية المتاحة (محمد، 2009)، هذا ولا بد من الإشارة الى ان هذه المنشآت تختلف من جهة الى أخرى

كما تستعمل الجسور الطوايلتوجيه المياه السطحية السائلة الى مناطق قريبة منها قصد استغلالها في الاعمال الفلاحية وبما ان الموارد المائية محدودة، ونسبة التساقطات متوسطة او ضعيفة في العديد من المناطق لذا توجب على الفلاح التعامل معها على أنها موارد اقتصادية واجتماعية. يجب أن تتم إدارة المياه السائلة بأكثر عقلانية قصد الاستفادة منها أكثر ما يمكن من خلال تعبئتها وتوجيهها وتخزينها، كما لهذه المنشآت فوائد أخرى أهمها تفادي التعرية والانجراف والمحافظة على التربة وتوفير مادة الطمي والرسوبيات، وتفادي الفيضانات.

4- الخاتمة: كيف نحافظ على هذا المنشآت

التقليدية المائية، وكيف نطورها ونثمن ونحي تقنياتها وموادها الطبيعية والبسيطة والغير المكلفة؟ ونتعامل معها كتراث ثقافي وطبيعي حيّ بإمكانه ان يلعب دورا هاما في المحافظة علة الموارد المائية المتاحة وبذلك يكون رافدا أساسيا في دعم ركائز التنمية المستدامة والامن المائي والغذائي

إن الحديث عن الحفاظ على هذا الموروث الانشائي المائي يعني ادراجه في السياسات والتشريعات والخطط والبرامج التي ينبغي أن تضطلع بها الهياكل المختصة والمؤسسات العلمية والثقافية في مجال التراث والتنمية المستدامة والمحافظة على البيئة، مما يتطلب العمل المشترك والتنسيق بين مختلف الأطراف المحلية والجهوية والوطنية في الاستفادة من هذا الموروث وتطوير الممارسات العلمية والعملية في هذا المجال محافظة وتمثينا، ذلك أن المحافظة على التراث المائي وتمثينه مسؤولية الجميع، فهو ملك المجموعة الوطنية وليس لأي فرد أو فئة أو مؤسسة أو جهة فيتوجب على كل الأفراد و المجموعات والجماعات المحلية وكل

المياه المجمعة في ري الأشجار المثمرة كالزيتين واللوز والتين والتين الشوكي، كما تستعمل لزراعة الحبوب والأعلاف.

- الطواي والجسور

جمع طابية وتتكون من التربة وتسند بغرسة التين الشوكي لكي تثبت جذوره التربة وتحميها من عوال الانجراف والتعرية، وتعد الطواي من اهم المنشآت المائية التقليدية التي اعتمدها الفلاح التونسي لتحصيل مياه السيلاان والاستفادة منها، ويكون اختيار مكان انشاء الطواي عن دراية كبرى بمسارات المياه الجارية وكيفية تحسيسها وتوجيهها للاستفادة منها

تتمثل هذه التقنية في إقامة سدود من التربة يمكن أن يصل ارتفاعها إلى 5 أمتار وقاعدتها إلى 7 أو 10 أمتار وذلك حسب ما يمكن أن يتجمع ورائها من مياه وتربة، لكن الامتداد الطولي يمكن أن يتجاوز 20 متر. يمكن أن تكون الطابية مدعمة بالحجارة في قاعدتها وهو ما يسمى «بالصيرة» وكل طابية تحتوي على «رأس» تمكن من المرور من جانبي المنحدر. أما الجسر فهو يتمثل في الجزء الموجود وراء الطابية، وتستعمل التربة المحجوزة لغرسة الزيتون والنخيل والحبوب. هذه التقنية تتعرض بصفة مستمرة للتلف بسبب الأمطار الاستثنائية، لذا لا بدّ من صيانتها باستمرار

- الاحواض المائية

تأخذ الاحواض المائية التقليدية العديد من الاشكال والانواع وهنا نتحدث عن الاحواض التي تشيد حذو الأشجار المثمرة كالزيتين حيث يعمل الفلاح على تجهيز جسر ترابي حول جذع الشجرة يكون قطره حسب حجمها كما يأخذ الشكل دائرة إذا كانت الأشجار في سهل ولا وجود لمنحدرات، اما في السفوح والمنحدرات الشديدة يعمل الفلاح على تجهيز وانشاء حوض تصف دائرة يكون مفتوح باتجاه الانحدار لكي يجمع المياه تحت الشجرة.

تشريك المجتمع المحلي في إعدادها وتبنيها وتطبيقها و العمل على إنجاح أهدافها.

- ملاحق:

صور لنماذج من التحكم في مياه الامطار السائلة وتوظيفها لري الزياتين

الهيكل الاعتناء والاهتمام الموروث الثقافي المائي والتنمية المستدامة في البلاد التونسية أن ينخرط في سياسات المحافظة على هذا التراث المائي وتثمينه، وهذا يتطلب نشر ثقافة التوعية والتحسيس للجميع بأهمية حسن التصرف في الموارد المائية وهو ما يقتضي إعداد خطة وطنية للمحافظة على التراث المائي تشارك فيها مختلف الأطراف العمومية والخاصة إلى جانب





المخططات والأشكال المركبة يجب أن تكون مجمعة



(Grouper)

5. قائمة المراجع: طريقة (APA)

- ✓ Mahfoud, Faouzi, « Les installations hydrauliques de Sfax au Moyen Age », IBLA, 1991, T. 54, N°167.
- « L'hydraulique de Menzel Bashû », Contrôle et distribution de l'eau dans le Maghreb antique et médiéval, INP- Ecole Française de Rome, 2009, p. 253-265. En collaboration avec Adnen Louhichi et Tahar Ghalia.
- « Les monuments à eau en Ifriqiya médiévale », sites et monuments, N° 29, Novembre, 2011. (En arabe).
- ✓ Jaidi, Houcine, L'hydraulique antique de la Tunisie dans les études de l'époque du protectorat, Presses universitaires du Midi, 2000
- ✓ Kassah, Abdelfettah (1995), « L'eau et l'agriculture irriguée en Tunisie : Essai de bilan » Cherif Abdallah, Kassah Abdelfettah. Et al., L'eau et l'agriculture irriguée en Tunisie, publication, Faculté des lettres, Manouba.
- ✓ Mahjoubi Ammar et Slim Hédi, (1993), « La maîtrise de l'eau à l'époque antique », collectif, L'Homme et la maîtrise de l'eau en Tunisie, Ibla.
- أبو زيد (أحمد)، الماء والبناء الاجتماعي ومفهوم الزمن. - المجلة العربية للثقافة، العدد 36، مارس 1999م
- الشريف (عبد الله) 1995: تهيئة الموارد المائية الثابتة والتحويلات، مسائل في تهيئة التراب والبيئة في تونس، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر.
- حسن (محمد) 1999: قانون المياه والتهيئة المائية بجنوب افريقية في العصر الوسيط، مركز النشر الجامعي
- حسن (محمد) 2009: التهيئة المائية بأفريقية في العصر الوسيط، أعمال الندوة الدولية الثالثة المنعقدة بالمكتبة الوطنية أيام 15-16-17 نوفمبر 2007 (الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط).
- حمزة، (علي) 1989، «، خاصيات وتطور الوسائل التقليدية للمحافظة على مياه السيال بالبلاد التونسية"، الجغرافية والتنمية.
- مسطاري، (بوكثير)، الماء والمجتمع بإفريقية خلال العهد الوسيط، نشر مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2022.

باللغة الأجنبية:

- ✓ Daoulati, Abdelaziz (1993), L'alimentation en eau de Tunis sous le règne des Hafsidés, collectif, L'Homme et la maîtrise de l'eau en Tunisie, Ibla.
- ✓ El Amami S. (1984), Les aménagements hydrauliques traditionnels en Tunisie, centre de recherche en génie rural, Tunis.
- ✓ Henia, Latifa (1993), climat et bilan de l'eau en Tunisie : essai de régionalisation climatique par les bilans hydriques. Publication faculté des sciences humaines et sociales Tunis.

Mamou Ahmed et Kassah Abdelfattah (2000), « Les nouveaux défis de la gestion de l'eau en Tunisie », revue de l'économie méridional, vol. 48 n°191